

والتحول من التوحيد إلى التثليث

وقفات وتأملات



إعداد لجنة الدعوة الإلكترونية



لجنة الدعوة الإلكترونية
E-Da'wah Committee
www.edc.org.kw
جمعية النجاة الخيرية

تاريخ المسيحية والتحول من التوحيد إلى التثليث

وقفات وتأملات

إعداد

لجنة الدعوة الإلكترونية

www.edc.org.kw
http: //ar.islamforchristians.com

لإرسال تعليقاتكم، راسلونا على:
البريد الإلكتروني: info@ar.islamforchristians.com
فيسبوك: بشارة المسيح
تويتر: Islam4ChristAR

محتويات الكتاب



مقدمة

يحتدم الجدل بين المسيحيين وغيرهم سواء كانوا مسلمين أو غيرهم من أرباب الديانات الأخرى، كما يحتدم الجدل بين المسيحيين أنفسهم حول قضايا التوحيد والتثليث. وعلى الرغم من أن عقيدة التثليث أصبحت عقيدة مسيحية سائدة في يومنا هذا وأصبح المسيحيون الموحدون أقلية بين الطوائف المسيحية الأخرى، إلا أن التاريخ يخبرنا أن عقيدة التثليث لم تكن العقيدة السائدة لدى المسيحيين في العصور السابقة، ولكنها كانت العقيدة التي لاقت تأييدا واستحسانا لدى الدولة الرومانية الوثنية حديثة العهد بالمسيحية.

ولقد كان التوحيد الخالص أساس العقيدة المسيحية إلى أن طغى عليه التثليث المدعوم من السلطة الوثنية. ومع ذلك، ظلت عقيدة التوحيد قائمة ولها أنصارها إلى أن جاء النبي محمد برسالة الإسلام الخاتمة فأيدها، كونها العقيدة التي دعا إليها السيد المسيح صراحة، ونبذ كل أشكال التثليث والشرك والوثنية التي طرأت على المعتقد المسيحي. ولذلك، فقد دخل المسيحيون الموحدون في الإسلام، لأنهم لمسوا فيه تطابقا شديدا مع رسالة عيسى وموسى عليهما السلام وما أنزله الله تعالى عليهما.

التوحيد خلال بعثة السيد المسيح



كثيرا ما يتلاقى القرآن الكريم مع الكتاب المقدس لاسيما العهد الجديد منه حول ما أُثر من أقوال وأفعال السيد المسيح والأحداث التي وقعت والمقولات والمأثورات التي سجلت والجدل الذي دار خلال الحقبة التاريخية التي بعث فيها السيد المسيح عليه السلام.

فيخبرنا القرآن الكريم أن حواريي المسيح قد آمنوا بالله تعالى رباً كما آمنوا بما أنزل سبحانه وتعالى وآمنوا بالسيد المسيح نبيا ورسولا. فعلى سبيل المثال، يقول الله تعالى:

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (آل عمران **3**: **52**–**53**)

كما يقول تعالى:

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (المائدة **111**: **5**)

وتتفق نصوص العهد الجديد مع نصوص القرآن الكريم في هذا الصدد. فلقد ورد وصف يسوع بـ"الرسول" صريحا في العهد الجديد .فنحن نقرأ: "إِذَنْ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ الَّذِينَ اشْتَرَكْتُمْ فِي الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، تَأَمَّلُوا يَسُوعَ: الرَّسُولَ وَرَئِيسَ الْكَهَنَةِ فِي الإِيمَانِ الَّذِي نَتَمَسَّكُ بِهِ. فَهُوَ أَمِينٌ لِلهِ



فِي الْمُهِمَّةِ الَّتِي عَيَّنَهُ لَهَا، كَمَا كَانَ مُوسَى أَمِيناً فِي الْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِ فِي بَيْتِ اللهِ كُلِّهِ" (العبرانيين 3 : 1–2) وتجدر الإشارة إلى أن وصف "يسوع رسول الله" يرد كاملا بهذا الموضع في النسخ غير العربية من الكتاب المقدس. (انقر هنا للاطلاع على نسخ الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية)

وينقل القرآن الكريم عن السيد المسيح تأكيده أن الله ربه وإلهه كما ينقل عنه أمره بعبادة الله وحده. فنحن نقرأ على سبيل المثال:

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (المائدة 72: 5)

وتتفق نصوص العهد الجديد مع نصوص القرآن الكريم في هذا الصدد أيضا. فلقد وردت مواضع عديدة في العهد الجديد تنقل عن السيد المسيح تأكيده أن الله إلهه وأمره بعبادة الله وحده. فعلى سبيل المثال، نقرأ في العهد الجديد: قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ». (يوحنا 17: 20)

ونقرأ: وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ (متى 46: 27)

كما نقرأ: حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». (متى 10: 4)

ومما سبق من نصوص القرآن الكريم والكتاب المقدس، يتبين أن السيد المسيح أقر بأن الله إلهه وأمر بعبادته وأن أتباع السيد المسيح آمنوا بالله ربا وإلها وبه نبيا ورسولا، وهذا هو التوحيد الخالص الذي عليه المسلمون حتى يومنا هذا، أي أن رسالة السيد المسيح كانت الدعوة إلى التوحيد شأنها شأن جميع الرسالات التي جاء بها جميع أنبياء الله ورسله.



رفع المسيح وأثره في التوحيد

لكن للمرء أن يتساءل: من أين أتى تأليه المسيح وعبادته مع الله؟ ومن أين أتى التثليث المزعوم وما هي جذوره التاريخية؟

ولنا أن نقول أن رفع السيد المسيح من هذا العالم لم يكن أقل إثارة للخلاف والجدل من ميلاده المعجز. فكما اختلف الناس على ميلاده عليه السلام، اختلفوا أيضا على رفعه. وتنقل لنا نصوص القرآن الكريم والكتاب المقدس مدى عمق وخطورة هذا الخلاف.

فعلى سبيل المثال، نقرأ في القرآن الكريم:

ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ .فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (مريم 19: 34–37)

وينقل لنا الكتاب المقدس مدى الخلاف على رفع السيد المسيح وحالة الشك وعدم التصديق التي سادت بعد رفعه. فنحن نقرأ في إنجيل مرقس: "أَخِيرًا ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ" (مرقس 14: 16)

ونقرأ في إنجيل لوقا: وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلاَمٌ لَكُمْ!» فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا. فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي». وَحِينَ قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِين مِنَ الْفَرَحِ، وَمُتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: «أَعِنْدَكُمْ ههُنَا طَعَامٌ؟» (لوقا 24: 36–41)

كما نقرأ في إنجيل يوحنا، أَمَّا تُومَا، أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ حِينَ جَاءَ يَسُوعُ. فَقَالَ لَهُ التَّلاَمِيذُ الآخَرُونَ: «قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ!». فَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لاَ أُومِنْ .«وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلاَمِيذُهُ أَيْضًا دَاخِلاً وَتُومَا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ وَالأَبْوَابُ مُغَلَّقَةٌ، وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمْ!». ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: «هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا». (يوحنا 24: 20–27)

ومن ثم، يتبين لنا أن رفع السيد المسيح ناهيك عن مولده المعجز قد أدى إلى خلاف عميق على طبيعته. ولذلك، يثبت لنا التاريخ أن بضعة القرون الأولى التي تلت رفع السيد المسيح قد شهدت حالة من الانقسام الشديد والحاد في الأوساط المسيحية بين موحد بالله مؤمن بيسوع نبيا ورسولا وبين مثلث عابد ليسوع ومشرك به ربا وإلها وبين طوائف أخرى مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

مجمع نيقية وإرساء عقيدة التثليث

لقد استمر هذا الانقسام الشديد حتى بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين للمسيحية وجعلها الديانة الرسمية للإمبراطورية .ولقد دفع هذا الانقسام الإمبراطور قسطنطين إلى عقد مجمع نيقية في عام 325 بعد الميلاد لدراسة الخلافات القائمة في كنيسة الإسكندرية وإزالة التعارض والاختلاف العقدي القائم آنذاك وتوحيد العقيدة المسيحية. ولقد كان هذا المجمع هو المجمع المسكوني الأول.

ويخبرنا موقع الأنبا تكلا أن "هذا المجمع حضره 318 أسقفا، وفي البداية كان هناك 16 أسقفا مؤيدا للأسقف أريوس و22 أسقفا مؤيدا للبابا ألكسندروس والباقي لم يكن موقفهم قد تحدد بعد."

وينقل الموقع عن أريوس قوله في المجمع: "إن الابن ليس مساويًا للآب في الأزلية وليس من جوهره، وأن الآب كان في الأصل وحيدًا فأخرج الابن من العدم بإرادته. وأن الآب لا يُرَى ولا يُكشَف حتى للابن؛ لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي، وأن الابن إله لحصوله على لاهوت مُكْتَسَب"

ويذكر الموقع أنه عندما وقف أريوس ليشرح معتقده على نحو ما سلف، حدث ضجيجا عاليا وسدوا آذانهم لكي لا يسمعوا هذا الشرح. ويقر الموقع أن الملك قسطنطين قد سمح لأثناسيوس سكرتير البابا الخاص ولم يتجاوز من العمر 25 سنة بالحديث بالرغم من أنه لم يكن له الحق في ذلك إذ كان شماسا في ذلك الحين. واقترح أثناسيوس أن تضاف كلمة" (HOMOOUSION) ذو جوهر واحد". والفرق بين الاثنين حرف واحد هو (I) اليوتا في اليونانية والقبطية.

ويخبرنا الموقع أن وصول المجمع لقرار لم يكن بالأمر الهين بل استدعى الأمر مجهودًا رهيبًا. وفي النهاية، وضع المجمع قانون الإيمان من أول "بالحقيقة نؤمن بإلهٍ واحد"... حتى قوله "ليس لِمُلْكِهِ

انقضاء". وفي هذا المجمع أيضا، تم تحديد يوم عيد القيامة وهو الأحد الذي يلي البدر الذي فيه عيد اليهود حتى لا يعيدوا قبل اليهود ومعهم.

وطولب في هذا المجمع أن يكون ذوى الكهنوت من أصحاب الزوجات والذي دافع عن هذا الأمر بشدة وعضده هو القديس بفنوتيوس أسقف طيبة، واكتفى المجمع بالحكم على الكهنة المترملين بعدم إعادة الزيجة .وسَنَّ المجمع بعد ذلك عشرون قانونًا مازالوا موجودين إلى هذا العصر.

ووَقَّع المجمع قرار حرم آريوس وأتباعه، وبعد هذا القرار بالحرم، أمر الملك بنفيه وحرق كتبه وإعدام من يتستر عليها .وكان البابا ألكسندروس قد عقد مجمعًا محليًا عام 318 بعد الميلاد، حرم فيه أريوس وتعاليمه، وجرده من رتبته الكهنوتية.

تساؤلات حول مجمع نيقية

كيف اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية وهو لم يكن على يقين من طبيعة المسيح وما إذا كان رسولا أم إلها؟ وكيف يكون هناك خلاف في ديانة ما بين رجال الدين على طبيعة الإله نفسه ومن هو وهل هو واحد أم ثلاثة؟ وكيف يستمر هذا الخلاف بدون حسم لمدة ثلاث قرون؟ وإذا كان مجمع نيقية قد حضره 318 أسقفا فعلا، فكيف يكون الخلاف فقط بين 16 أسقفا من جانب و22 من جانب آخر؟ وكيف يتأتى أن "الباقي لم يكن موقفهم قد تحدد بعد"؟ فهل الباقون البالغ عددهم 318– 38 = 280 يجهلون عقيدتهم ولا يعلمون من إلههم وما إذا كان المسيح رسولا أم إلها؟ وإذا كان هذا هو حال رجال الدين، فماذا كان حال عموم الناس؟

أليس هناك تكافؤ بين عدد الجانبين 16 مقابل 22 على الرغم من أن 22 بينهم بابا الإسكندرية نفسه؟ أليس من المنطقي أن يكون أتباع بابا الإسكندرية أكبر من ذلك بكثير في مواجهة أسقف عادي حرم وحرمت تعاليمه وجرد من رتبته الكهنوتية وهو أريوس؟ هل انتظر هؤلاء الأساقفة ليعلموا ما هي الكفة التي سيرجحها الملك ثم انحازوا للجانب الذي أيده الملك؟



كل هذه أسئلة تحتاج إلى إجابة شافية!

مجمع القسطنطينية



إن من أدل الأدلة على وجود معتقد التوحيد بل وحضوره القوي وانتشاره منذ فجر المسيحية هو معاودة ظهوره بأشكال مختلفة بعد فترة وجيزة من تصدي بابا الإسكندرية المدعوم من الدولة الرومانية الوثنية لمعتقد أريوس الأقرب إلى التوحيد. فبعد أن حارب البابا أثناسيوس ضد معتقد أريوس سنينا عديدة وفقا لما ذكره موقع الأنبا تكلا، ظهرت عدة معتقدات شبيهة في نهاية القرن الرابع الميلادي وكان ذلك في زمان الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير. وانعقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية في 381 بعد الميلاد.

ومن هذه المعتقدات معتقد مكدونيوس أسقف القسطنطينية الذي قال عندما دعي لعرض معتقده: "أن الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون، وليس بأقنوم متميز عن الآب والابن، بل هو مخلوق يشبه الملائكة وليس ذو رتبة أسمى منهم"

فحكم عليه المجمع بالحرم وفرزه من شركة الكنيسة وحكم عليه الإمبراطور بالنفي وقرر الآباء أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس وإنه مساو للآب وللابن، ثم قرروا تكميل قانون الإيمان النيقاوي: "نعم نؤمن بالروح القدس الرب المُحيي المُنْبَثِق من الآب"

ومن هذه المعتقدات أيضا معتقد أوسابيوس وهو أن الثالوث ذاتً واحدة وأقنوم واحد... وقد حاول البابا تيموثاوس إقناعه فلم يرجع عن رأيه، فأمر المجمع بتجريدهُ من رتبتهُ. وقد أصدر المجمع سبعة قوانين أخرى جديدة لسياسة الكنيسة.

ومن الغريب أن عقيدة التثليث الصريحة المحضة فرضت فرضا على جميع الأساقفة، ولم يسمح لأحد أن يحيد عنها قيد أنملة حتى وإن كان من أنصار لاهوت المسيح ومهاجمي الأريوسية. فهذا هو أبوليناريوس أسقف اللاذقية، فقد اشتهر بمهاجمته للآريوسية وشدة دفاعه عن لاهوت السيد المسيح، ولكن اعتبر أنه فيما هو يدافع سقط في بدعة شنيعة إذ اعتقد بوجود تفاوت بين الأقانيم فقال: الروح القدس عظيم والابن أعظم، أما الآب فهو الأعظم. وكان جزاء أبوليناريوس أسقف اللاذقية جزاء سنمار حيث حكم عليه بالحَرْم، وجرَّدوه من رتبتهُ.

وكما هو الحال مع معتقد أبوليناريوس أسقف اللاذقية، اعتبر المجمع أن معتقد سابيليوس بدعة حيث اعتقد بأن الله هو أقنوم واحد وليس ثلاثة أقانيم، أي أقنوم واحد بثلاثة أسماء. وأن هذا الأقنوم حينما خلقنا فهو الآب، وحينما خلّصنا فهو الابن، وحينما قدسنا فهو الروح القدس.

مجمع أفسس الأول

لم تمض بضعة سنوات على انعقاد مجمع القسطنطينية حتى انعقد مجمع أفسس الأول في عام 431 بعد الميلاد، حيث نادى راهب قس اسمه بيلاجيوس بأن "خطية آدم قاصرة عليه دون بقية الجنس البشرى "وأن "كل إنسان منذ ولادته يكون كآدم قبل سقوطه". ثم قال أن "الإنسان بقوته الطبيعية يستطيع الوصول إلى أسمى درجات القداسة بدون انتظار إلى مساعدة النعمة.."

ومن البديهي أن هذه التعاليم تهدم عقيدة الفداء والخلاص عند المسيحيين. وبدأ ينشر تعاليمه بين البلاد حتى حَكَمَ عليه مجمع أفسس الأول بحرمه هو وبدعته.

وفي نفس المجمع، اعتبر معتقد نسطور بطريرك القسطنطينية من قبيل البدع، حيث اعتقد أنه لا ينبغي أن نسمى السيدة العذراء بوالدة الإله، كما عاب على المجوس لسجودهم للطفل يسوع، واستقطع الجزء الأخير من كل من التقديسات الثلاث التي ترتلها الكنيسة في صلواتها .وبحكم منصبه الرفيع، بدأ ينشر تعاليمه في كل مكان مستخدمًا في ذلك بعض الكهنة والأساقفة.

عقد البابا السكندري مجمع مكاني مع الأساقفة لاتخاذ موقف واضح وصريح لحفظ الإيمان النيقاوي أمام المجمع وصدر منه بالإجماع أمر بالتمسك بدستور الإيمان النيقاوي ووضعوا له مقدمة مأخوذة من الكتاب المقدس "نعظمك يا أم النور الحقيقي"

وأرسل البابا رسائل إلى زوجة الإمبراطور وبليكاريا وأركاريا ومارينا أخوات الإمبراطور يشرح لهم حقائق الإيمان وبذلك لكي لا يؤثر نسطور على الإمبراطور ثيئودسيوس الصغير صديقه وأرسل رسائل أخرى إلى يوحنا أسقف أنطاكية وبونيياس أسقف أورشليم وأكاكيوس أسقف حلب وكتب البابا الحرمان وأرسله أباء المجمع السكندري إلى نسطور يطالبونه بان يرجع إلى الإيمان المستقيم (الشرك الصريح) ويوقع على الحروم.

وبدأ الانقسام بين الكنيسة الواحدة: رومية أورشليم وأسيا الصغرى إلى جانب البابا الإسكندري وأنطاكية إلى جانب نسطور ومما زاد الموقف تعقيدًا استثارة نسطور للإمبراطور ضد البابا لكتابته خطابات لأخواته وزوجته دون إذنه فأرسل الملك للبابا خطابًا شديد اللهجة ودعى الأساقفة لعقد مجمع مسكوني وكان ذلك في 19 نوفمبر سنة 430 بعد الميلاد.

ولقد كان من أنصار نسطور أيريناس أحد رجال البلاط الإمبراطوري وكنديديان مندوب الإمبراطور وكان يوحنا بطريرك أنطاكية من أصدقائه وساعده على نشر معتقده بعض أساقفة أنطاكية.

وحكم المجمع على نسطور بقطعه من درجته ومن أي شركة كهنوتية. وأرسل المجمع إلى نسطور كتابًا بحرمه. ثم قرر المجمع بأن سر التجسد المجدي القائم من اتحاد اللاهوت بالناسوت في أقنوم الكلمة الأزلي بدون انفصال ولا امتزاج ولا تغيير، وأن السيدة العذراء مريم هي والدة الإله. ووضع الآباء مقدمة قانون الإيمان "نعظمك يا أم النور الحقيقي"

ولكن واجه المجمع مشكلة عدم وصول بطريرك أنطاكية وعدم اعترافه بالقرارات لعدم حضوره وطلب من الأساقفة إعادة المجمع .لم يهتم البابا السكندري وعقد جلسة المجمع الثانية في 10 يونيه سنة 431 بعد الميلاد. ورفض بطريرك أنطاكية الحضور معهم بالرغم من استدعاءه عدة مرات، فحرم المجمع بطريرك أنطاكية.

وأنفض المجمع بعد أن اختير مكسيميانوس أسقفًا للقسطنطينية محل نسطور المخلوع. ووافق الآباء على قرار الإمبراطور بنفي نسطور في مصر في جبل قسقام لِتَمَسُّك أهلها بالإيمان. ولا زال هناك حتى الآن تل نسطور.

تساؤلات حول المجامع المسكونية

إذا كانت عقيدة التثليث هي العقيدة السائدة منذ فجر المسيحية وإذا لم تكن عقيدة التوحيد عقيدة قوية لها حضورها القوي، فهل كان سيحدث كل هذا اللغط على طبيعة الإله في المسيحية؟ وإذا كانت عقيدة التثليث واضحة جلية مستساغة لدى جميع المسيحيين منذ البداية، فهل من المعقول أن يختلف عليها كبار البطاركة والأساقفة على مر العصور على نحو ما أسلفنا؟



أبرز الطوائف المسيحية الموحدة المبكرة

1- الأبيونية



طائفة مسيحية انتشرت في فلسطين والمناطق المجاورة مثل قبرص وآسيا الصغرى حتى وصلت إلى روما، يتحدثون الآرامية وبالرغم من أن معظم أتباعها من اليهود اتخذوا لهم لقب الناصريين فقد اتبعها عدد من الأمم (أي من غير اليهود).

انتشرت الأبيونية في أيام المسيحية الأولى لكنها لم تصبح مذهبا له أتباعه ومريدوه إلا في أيام حكم الإمبراطور (تراجان – 52 117 بعد الميلاد)

نقل عن أوسابيوس (340 م) الملقب بأبي التاريخ الكنسي وهيرودس المسيحية قوله أن الانجيل حسب العبرانيين هو الأصح في نظر العبرانيين الذين آمنوا بالمسيح ويقول عن الأبيونيين أنهم كانوا يستخدمون فقط الانجيل المسمى بحسب العبرانيين وقلما يكترثون بغيره.

ويقول عن عقيدتهم: أنهم كانوا يحفظون السبت وسائر العادات اليهودية ويغارون على إقامة أحكام التوراة ويعتبرون أن الخلاص لا يقوم على الايمان بالمسيح وحده بل على إقامة شريعة موسى أيضا.

وهناك أبيونيون فريسيون وأبيونيون معتدلون وأبيونيون أسينية. وعلى الرغم من الخلافات الفرعية بين هذه الطوائف، إلا أنها تتفق جميعا على رفض مذهب التثليث (الإيمان بالآب والابن والروح القدس) وإنكار لاهوت المسيح وعدم الاعتراف بوجوده الإلهي.



2- البولينية

في أواسط القرن الميلادي الثالث، ظهرت فرقة البولينية وهم أتباع بولس الشمشاطي، والذي تولى أسقفية إنطاكية عام 260 بعد الميلاد كما كان يشغل منصباً كبيراً في مملكة تدمر.

ويقول كتاب مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ملة تدعى البولية أو البوليانيون، وهي ملة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية، وهم الذين يؤمنون بأن الله إله واحد، جوهر واحد، أقنوم واحد، ولا يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بأن الكلمة مخلصة، ولا أنها من جوهر الأب، ولا يؤمنون بروح القدس المحيي، ويقولون: إن المسيح إنسان خلق مثل خلق آدم، وكمثل واحد منا في جوهره، وأن الابن ابتداؤه من مريم.

3- الأريوسية

آريوس (256 – 336 بعد الميلاد) هو مؤسس مذهب الآريوسية في الديانة المسيحية الذي يقول بأن الكلمة ليس بإله، بل بما أنه "مولود" من الله الآب فهو لا يشاركه طبيعته، بل تقوم بينهما علاقة "تبني."

وعلى الرغم من اعتبار آريوس هرطوقا في مجمع نيقية الذي عقده الإمبراطور قسطنطين وعلى الرغم من إدانته قبلها في مجمع محلي عقد بالإسكندرية عام 316 ومجمع محلي آخر عقد في أنطاكية عام 320 وعلى الرغم من قيام مجمع القسطنطينية الأول بوضع حرم نهائي في عام 381 على أي شكل من أشكال الأريوسية، إلا أنه توالى أباطرة أريوسيون على عرش الإمبراطورية البيزنطية خلال الفترة من 325 إلى 381 بعد الميلاد، إذ إن كلا من قسطنطين الثاني وفالنس كانوا آريوسيين أو شبه آريوسيين.



وعلى الرغم من أنّ الآريوسية في أعقاب مجمع القسطنطينية الأول قد انقرضت من الشرق، فإنها ظلت في الغرب خصوصًا في ألمانيا وبعض مناطق البلقان بنتيجة فرضها من قبل ملوك القوط الشرقيين على القبائل الواقعة تحت حكمهم، ولم تندمج في بنية الكنيسة الكاثوليكية الرومانية إلا تدريجيًا وبحلول القرن الثامن.

أطلق على الآريوسية في كتابات آباء الكنيسة عمومًا مصطلح العدميين لأن إيمانهم بالثالوث الأقدس احتوى على عقيدة خلق الابن من العدم أي أن يسوع والذي هو الأقنوم الثاني وكذلك الروح القدس قد خلقا من العدم بإرادة الآب، بمعنى وجود فاصل زمني بين وجود الآب ووجود الابن والروح القدس.

ظهر في عام **1876** كنيسة الرسليين وانشق عنهم عام **1931** شهود يهوه، يرى البعض أن شهود يهوه وكنيسة الرسليين نوع جديد من أنواع الآريوسية، لكونهم يرفضون ألوهة المسيح الكاملة، ويتفقون أيضًا في نفي الدور المنسوب له في الخلاص. غير أن شهود يهوه يرفضون عقيدة الثالوث برمتها حتى ضمن صيغة آريوس ويرفضون أيضًا فكرة "نصف الإله" التي نادى بها.

4- السابيلية

السابيليه هم أتباع سابيليوس القائلين بأن الله أقنوم واحد ظهر تارة بكونه الآب وأخرى قام بدور الابن وثالثة بدور الروح القدس. تتلمذ سابيليوس على يد نوئيتوس وأصبح كاهنا وهو ليبي الجنسية تعلّم في روما واستقر بها.. وأخذ عنه تعاليمه التي تنحصر في أن الإله أقنوم واحد أعطى الناموس لبني إسرائيل بصفته الآب، وصار إنسانًا في العهد الجديد بصفته الابن، وحلّ على الرسل في علّية صهيون بصفته الروح القدس .ولهذا أعتبر أن ما حّل بالابن من آلام قد حّل على الآب، لهذا دعيت هذه الفئة باسم "مؤلمى الآب"

وقد قام سابيليوس بشرح ما تُعلِّمه الكتب المقدسة عن الآب والابن والروح القدس بنوع يختلف عن نوئيتوس، فاعتقد أن جزءً من الطبيعة الإلهية أُفرز من الله الآب وكوّن الابن بالاتحاد مع الإنسان يسوع المسيح، وأن جزءً آخر انفصل عنه فكوّن الروح القدس، واعتقد سابيليوس أن عقيدة الثالوث فى المسيحية في الله الواحد عقيدة صعبة وغير مقبولة ومرفوضة من اليهود والوثنيين رفضاً تاماً، لذا فكر سابيليوس فى تبسيط وشرح هذه العقيدة فى عقيدة مكونة من مراحل ثلاث كما يلى: –

المرحلة الأولى: الله الأزلي الذي خلق العالم وكل ما فيه خرج عن صمته وعن راحته بخلق هذا العالم، وعندما خلقه أصبح الله الآب الخالق جوهراً واحداً وشخصاً واحداً، ووحدة واحدة وهو نفس الشخص من الخلق إلى التجسد.

المرحلة الثانية: عند التجسد، فالله نفسه، نفس الشخص والجوهر هو الذي تجسّد في الإنسان يسوع الناصري أي أن الإله الذي تجسّد في يسوع الناصري ليس الابن أو اللوغوس بل هو الله نفسه، أي أن الآب أصبح ابناً وهو الذي صُلب وتألم ومات.

المرحلة الثالثة: بعد الصعود، فالروح الذي حلّ على التلاميذ يوم الخمسين هو نفس الشخص الذي كان يعمل في العهد القديم، وهو نفسه الذي صار ابناً أي أن الله أخذ شكل الآب في بداية الخلق، وفي التجسّد انتحل شكل الابن وبعد ذلك انتحل شكل الروح القدس.

مما سبق يمكن تلخيص معتقده أنه يؤمن بوجود إله قام بأدوار ثلاثة في ثلاث حقب مختلفة من الزمن. لاقى تفسير سابيليوس رواجاً عظيماً حتى أطلق كثيرون عليه الانتحالية السابلينية، وقد اقتنع بفكره الكثير من معلمي الكنيسة لسهولتها وعدم تعقيدها.

انتشرت عقيدة سابيليوس في روما ومصر، وأول من اعتنق عقيدة نوئيتوس وسابيليوس هو زفيرينوس أسقف رومية وكاليستوس خليفته، وساعدا على نشر معتقدهما حتى انتشرت تلك العقيدة وعمَّت أنحاء الغرب. غير أن كاليستوس سام أساقفة وقسوسًا وشمامسة من الذين تزوّجوا ثانية وثالثة، ثم أباح



العماد لمغفرة الخطايا وادّعى بأن الأسقف لا يُقطَع من الكهنوت مهما ارتكب من الآثام. ولما لم يوافقه سابيليوس على ذلك حرمه، فجاء إلى مصر سنة **257** بعد الميلاد.

قام البابا كاليستوس بإصدار حرماناً ضد سابيليوس وأتباعه عام **220** بعد الميلاد، ويقول بعض المؤرخين أن سابيليوس قد ظل في روما بعد حرمانه ولكن البعض الآخر يرى أنه حضر إلى مصر ونشر تعاليمه بها. وبرغم دفاع الكنيسة ضد هذا المذهب إلا أنه انتشر بسرعة كبيرة في أماكن كثيرة جداً من المسكونة.

وأخذ ينشر فيها عقيدة مؤلّمي الآب فجذب إليه كثيرين، ولما عرف البابا ديونيسيوس أمره قاومه بشدة، وانتهى الأمر أخيرًا بحرم سابيليوس في مجمع عقد سنة **261** بعد الميلاد.

ترجع السابيلية **Sabellianism**، أو **Modelist**، أو المونارخية (الوحدانية المطلقة **Monarchianism**)، وفي الغرب تدعى مؤلمي الآب **Patripassianism**، إلى عصر الشهيد يوستين الذي أدان القائلين بأن "الابن هو الآب". جاءت هذه الحركة أولاً كرد فعل لمقاومة الفكر الغنوصي في القرن الثاني، حيث كان الغنوصيون يتطلعون إلى الابن والروح القدس كونهما أيونان صادران عن الله الأسمى، وأنهما أقل منه، فأراد البعض تأكيد الوحدانية بين الثالوث فسقطوا في نوعٍ من السابيلية. وجاءت أيضًا كرد فعل ضد الأريوسية في القرن الرابع، استخدمها مارسيلليوس أسقف أنقرة لنزع فكرة التدرج عند الثالوث القدوس. لقد أوضح ترتليان في مقدمة مقاله ضد براكسيس **Praxeas** أن هذه العقيدة إنما ظهرت خلال الرغبة في تأكيد الإيمان الأرثوذكسي.

وكان سابيليوس أول من اعتنق عقيدة نوئيتوس وسابيليوس زفيرينوس أسقف روما وكاليسطوس خليفته وساعد على نشر معتقدهما حتى انتشرت هذه العقيدة فى الغرب، ومما زاد الطين بله أن كاليسطوس سام اساقفة وقسوساً وشمامسة من الذين تزوجوا ثانية وثالثة – ثم اباح العماد لمغفرة الخطايا – وأدعى أن الأسقف لا يقطع من الكهنوت مهما جنى من آثام.

سابيليوس فى مصر وعقيدته مؤلمى الآب: ولكن سابيليوس لم يوافق على الأعمال الأخيرة فحرمه فترك روما وذهب إلى مصر سنة 257بعد الميلاد وأخذ ينشر فيها عقيدته التى أساسها عقيدة نوئيتوس ومعتقد "مؤلمى الآب"

مؤلمو الآب يعتقدون أن الذات نفسه لا أحد أقانيمه هو الذى كفر عن خطايا البشر. وقد استقطب سابيليوس بعقيدته هذه كثيرين من الناس وبعض الأساقفة فقاومه البابا ديونيسييوس فى منشور أرسله إلى الأسقفين أمونيوس وأفراندر، ولما لم يتمكن من أرجاع سابيليوس حرمه فى مجمع عقده بالأسكندرية سنة 261 بعد الميلاد.

المسيحيون الموحدون واعتناق الإسلام عند ظهور النبي محمد

1- النجاشي



هو النجاشي أصحمة بن أبجر. كان أحد ملوك الحبشة، معدود في الصحابة رضي الله عنهم وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه – صلى الله عليه وسلم – صلى على غائب سواه.

أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء أنه لما طلب عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من النجاشي تسليم الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة، دار الحوار التالي بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب:

قال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال: نعم. قال: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من كهيعص (سورة مريم) فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد.

ثم قال لهم: ما تقولون في عيسى؟ فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ عودا، ثم قال:

ما عدا عيسى ما قلت هذا العود. فتناخرت بطارقته حوله، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي – والسيوم الآمنون.

ويروي ابن إسحق: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: فارقت ديننا. وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سفنا، وقال: اركبوا، فإن هزمت، فامضوا، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب، فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم. ثم جعله في قبائه، وخرج إلى الحبشة، وصفوا له، فقال: يا معشر الحبشة: ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى. قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد. قال: فما تقولون فيه؟ قالوا: هو ابن الله، فقال – ووضع يده على صدره على قبائه – هو يشهد أن عيسى، لم يزد على هذا شيئا، وإنما عنى على ما كتب، فرضوا وانصرفوا .فبلغ ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فلما مات النجاشي صلى عليه، واستغفر له.



2- هرقل

روى البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد وغيرهم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ...فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ حِينَ قَرَأَهُ الْتَمِسُوا لِي هَا هُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ لِأَسْأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ... قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنَّهُ كَانَ بِالشَّأْمِ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا تِجَارًا ... قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَوَجَدَنَا رَسُولُ قَيْصَرَ بِبَعْضِ الشَّأْمِ فَانْطُلِقَ بِي وَبِأَصْحَابِي حَتَّى قَدِمْنَا إِيلِيَاءَ فَأُدْخِلْنَا عَلَيْهِ...

ظل هرقل يسأل أبا سفيان عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأبو سفيان يجيبه. وبعد ذلك، قال هرقل لأبي سفيان: فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، (فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي وَخَلَوْتُ بِهِمْ قُلْتُ لَهُمْ لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ هَذَا مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَخَافُهُ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَاللَّهِ مَا زِلْتُ ذَلِيلًا مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ قَلْبِي الْإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهٌ)

وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ، وكان يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ.

ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ."

أما رد هرقل على كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن سعيد ابن أبي راشد أنه لقي التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص وكان شيخا كبيرا.



فروى التنوخي أن هرقل دفع إليه كتابا فقال: اذْهَبْ بِكِتَابِي إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَمَا ضَيَّعْتُ مِنْ حَدِيثِهِ فَاحْفَظْ لِي مِنْهُ ثَلَاثَ خِصَالٍ انْظُرْ هَلْ يَذْكُرُ صَحِيفَتَهُ الَّتِي كَتَبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ، وَانْظُرْ إِذَا قَرَأَ كِتَابِي فَهَلْ يَذْكُرُ اللَّيْلَ، وَانْظُرْ فِي ظَهْرِهِ هَلْ بِهِ شَيْءٌ يَرِيبُكَ.

ويقول التنوخي أنه لما ناول النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب، قال: (مِمَّنْ أَنْتَ)، فَقُلْتُ: أَنَا أَحَدُ تَنُوخَ، قَالَ: (هَلْ لَكَ فِي الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِيَّةِ مِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ)، قُلْتُ: (إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَعَلَى دِينِ قَوْمٍ لَا أَرْجِعُ عَنْهُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ)، فَضَحِكَ .وَقَالَ: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)، يَا أَخَا تَنُوخَ إِنِّي كَتَبْتُ بِكِتَابٍ إِلَى كِسْرَى فَمَزَّقَهُ وَاللَّهُ مُمَزِّقُهُ وَمُمَزِّقٌ مُلْكَهُ وَكَتَبْتُ إِلَى النَّجَاشِيِّ (نجاشي كافر خلف النجاشي المسلم) بِصَحِيفَةٍ فَخَرَقَهَا وَاللَّهُ مُخْرِقُهُ وَمُخْرِقٌ مُلْكَهُ وَكَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِكَ بِصَحِيفَةٍ فَأَمْسَكَهَا فَلَنْ يَزَالَ النَّاسُ يَجِدُونَ مِنْهُ بَأْسًا مَا دَامَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ. قُلْتُ: (هَذِهِ إِحْدَى الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَوْصَانِي بِهَا صَاحِبِي(، وَأَخَذْتُ سَهْمًا مِنْ جَعْبَتِي فَكَتَبْتُهَا فِي جِلْدِ سَيْفِي، ثُمَّ إِنَّهُ نَاوَلَ الصَّحِيفَةَ رَجُلًا عَنْ يَسَارِهِ، قُلْتُ: (مَنْ صَاحِبُ كِتَابِكُمْ الَّذِي يُقْرَأُ لَكُمْ) قَالُوا: (مُعَاوِيَةُ)

فَإِذَا فِي كِتَابِ صَاحِبِي [أي كتاب هرقل]: (تَدْعُونِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فَأَيْنَ النَّارُ؟)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ أَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ)، قَالَ: (فَأَخَذْتُ سَهْمًا مِنْ جَعْبَتِي فَكَتَبْتُهُ فِي جِلْدِ سَيْفِي)

ويروي التنوخي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قراءة الكتاب، قال: تَعَالَ يَا أَخَا تَنُوخَ، فَأَقْبَلْتُ أَهْوِي إِلَيْهِ حَتَّى كُنْتُ قَائِمًا فِي مَجْلِسِي الَّذِي كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَحَلَّ حَبْوَتَهُ عَنْ ظَهْرِهِ وَقَالَ هَاهُنَا امْضِ لِمَا أُمِرْتَ لَهُ فَجُلْتُ فِي ظَهْرِهِ فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي مَوْضِعِ غُضُونِ الْكَتِفِ مِثْلِ الْحَجْمَةِ الضَّخْمَةِ.

وروى محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم: أن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي، حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك، والله إني لأعلم أن صاحبك نبيٌّ مرسل، وأنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى ضغاطر الأسقفّ، فاذكر له أمر صاحبكم، فهو أعظم في الروم مني، وأجوز قولاً مني عندهم، فانظر ما يقول.

فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ضغاطر: صاحبك، والله نبيٌّ مرسل، نعرفه في صفته ونجده في كتابنا باسمه، ثم ألقى ثياباً كانت عليه سوداً، ولبس ثياباً بيضاً، ثم أخذ عصاه، ثم خرج على الروم وهم في الكنيسة، فقال: يا معشر الروم، إنه قد جاءنا كتاب أحمد، يدعونا فيه إلى الله وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن أحمد رسول الله.

فوثبوا عليه وثبة رجلٍ واحد، فضربوه فقتلوه، فرجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر، فقال: قد قلت لك: إنا نخافهم على أنفسنا، وضغاطر كان، والله، أعظم عندهم مني.

قال ابن حجر في فتح الباري: ذكر السهيلي أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيما له، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة، ثم كان عند سبطه، فحدثني بعض أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب ، فلما رآه استعبر وسأل أن يمكنه من تقبيله، فامتنع.

قلت (ابن حجر): وأنبأني غير واحد عن القاضي نور الدين بن الصائغ الدمشقي، قال: حدثني سيف الدين فليح المنصوري قال: أرسلني الملك المنصور قلاوون إلى ملك الغرب بهدية، فأرسلني ملك الغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة فقبلها، وعرض علي الإقامة عنده فامتنعت، فقال لي: لأتحفنك بتحفة سنية، فأخرج لي صندوقا مصفحا بذهب، فأخرج منه مقلمة ذهب، فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد التصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، ما زلنا نتوارثه

إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا ، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا.

3- المنذر بن ساوى

كان المنذر بن ساوى ملك الخليج العربي في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وكان نصرانيا إذ كان قومه من "عبد شمس" نصارى. ولقد كتب النبي محمد كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام. فأسلم ولكنه لم يكن في الوفد الذي حضر من البحرين لمقابلة رسول الله وإنما كتب إليه معهم بإسلامه.

فكتب المنذر إلى رسول الله: "أما بعد، يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إليَّ في ذلك أمرك".

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا، وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت على أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية."



4- ورقة بن نوفل

ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى كان ابن عم أم المؤمنين السيدة خديجة وكان نصرانيا وأسلم في بداية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. روى البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي عن عائشة أم المؤمنين أن السيدة خديجة انطلقت بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم حتى أتت به ورقة بن نوفل، فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي.

وكان ورقة بن نوفل أول من بشَّر خديجة بنبوَّة الرسول محمد بعدما أخبرته بما حدث أثناء سفر محمد مع ميسرة بتجارتها إلى الشام، وما كان من أمر السحابة التي كانت تظله حتى دخل مكة، قال لها: (لئن كان هذا حقاً يا خديجة، فإنّ محمداً لنبي هذه الأُمّة، وقد عرفت أنّه كائن لهذه الأُمّة نبي يُنتظر هذا زمانه!) (الروض الأنف ج2، 161) ولم يمض شهر أو أقل أو أكثر قليلاً على هذا الكلام إلاّ وتزوجت السيدة خديجة برسول الإسلام. ولورقة بن نوفل قصيدة في هذا يبدو من سياقها أنّها نُظِّمت بعد هذا الحدث لما فيه من ذكر لسفر رسول الإسلام بتجارة خديجة، واستبشار بنبوّته ووعد باتباعه.

ولقد ورد في مسند الطيالسي أن ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد بن عمرو بن نفيل: من أين أقبلت يا صاحب البعير؟ قال من بيت إبراهيم. قال: وما تلتمس ؟ قال: ألتمس الدين. قال: ارجع؛ فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك.



5- بحيرى الراهب

روى الترمذي والحاكم عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعريّ، عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام ومعه محمد صلى الله عليه وسلم وأشياخ من قريش؛ فلما أشرفوا على الراهب بحيرى نزلوا فخرج إليهم، وكان قبل ذلك لا يخرج إليهم، فجعل يتخلّلهم وهم يحلّون رحالهم؛ حتى جاء فأخذ بيده ، صلى الله عليه وسلم ، وقال: هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين؛ فقال أشياخ قريش: وما علمك بهذا؟ قال إنّكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلاّ خرّ ساجداً، ولا يسجدون إلاّ لنبيّ لأعرفه بخاتم النّبوّة، أسفل غضروف كتفه مثل التّفاحة . ثم رجع فصنع لهم طعاماً؛ فلما أتاهم به و كان –صلى الله عليه وسلم– في رعية الإبل قال: فأرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظلّه، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه ، يعني إلى فيء شجرة ، فلمّا جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: فبينا هو قائم عليه يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإنّ الروم لو رأوه عرفوه بصفته فقتلوه؛ فالتفت فإذا بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم الراهب، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا إنّ هذا النّبيّ خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلاّ قد بعث إليه ناس، وإنّا قد أخبرنا فبعثنا إلى طريقك هذا، فقال لهم: هل خلّفتم خلفكم أحداً هو خير منكم؟ قالوا: لا. إنّما أخبرنا خبره بطريقك هذا؛ قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من النّاس ردّه؟ قالوا: لا. قال: فتابعوه وأقاموا معه، فأتاهم فقال: أنشدكم الله أيّكم وليّه؟ قال أبو طالب: أنا؛ فلم يزل يناشده حتى ردّه أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بلالاً، وزوّده الراهب من الكعك والزّيت.



6- سلمان الفارسي

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عباس أن سلمان الفارسي حدثه حديثا جاء فيه: كنتُ رجلا فارسيا ... واجتهدت في المجوسية ... فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ... فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم ... فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام ... فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى ... ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام...

وظل سلمان يخدم الرهبان الواحد تلو الآخر من الشام إلى الموصل إلى نصيبين إلى عمورية. ولما حضرت الوفاة راهب عمورية وطلب سلمان منه أن يخبره بمن يخدمه بعده من الرهبان، فقال له: بني والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

فتوجه سلمان إلى أرض العرب وانتهى به المطاف في المدينة. ولما علم أن الأنصار مجتمعين بقباء على رجل من مكة يزعمون أنه نبي، توجه إليه. يقول سلمان: وقد كان عندي شي قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله وهو بقباء فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال لأصحابه: كلوا وأمسك يده فلم يأكل، قال سلمان: فقلت في نفسي هذه واحدة، ثم أنصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحوَّل رسول الله إلى المدينة، ثم جئته به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال فقلت في نفسي: هاتان إثنتان، ثم جئت رسول الله وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من



أصحابه عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم أستدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله استدرت عرف أني استثبت في شيء، فألقى ردائه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت على رسول الله أقبّله وأبكي... وأسلم سلمان وحسن إسلامه.